في شرفة الورد

أمل هي الطفلة التي ارتوى النهر بدمائها في عصر الشهداء، هي نفسها الأم التي احتضنت طفولتها بين راحتين وقلبٍ من أرق ما خلق الرب، لا أنسى أمل وهي تزرع كل يومٍ وردةً في شرفتها حين الصباح، وقتها أرى العاملين يمرون غير عابئين باهتمامي بها عبر الشارع يلهثون إلى العمل، حينها كان كل اهتمامي ينصب عليها بينما يبدو العالم ذابلاً وترويني نظراتها للورود، وكلما سألتها عن عدد سنوات عمرها تشير مسرعةً بأصابعها فأجده نفس عدد ورود شرفتها اليانعات.

بلغت السابعة سألتها وهي تناغي الورد: "لمن تغرسين كل هذا يا صغيرة؟"؛ فترد كما يحكي النغم على صفحات الماء، تغمغم بصوت غير مفهوم، أعتقد حينها أن أمها هي من تنصحها بذلك، نفس الغيامات التي تُظلل جزءً من ستائر شرفتها، تظلل المدينة كلها ولربما الكون.

جاء اليوم الذي اشتكى فيه لقلبي عاشق وما أكثر عشاق أمل حين الغروب وحين تشرق الشمس، وما أجمل أمل حين تدير ظهرها للجمع منصرفة تحدث مرآتها، لم أنسَ كل هذه الأيام ولا ذاك اليوم حين كانت تحدث أحد المعذبين المقهورين

في السابعة صباحًا عبر النافذة، طال حديث أمل وليته لم يطُل، وطال غيابها وليتني لم أتابع سر الغياب، أمل التي يُحكى عنها هي نفسها التي وهبت حياتها تداوي النفوس، ولولاها ما تهاوت النفوس.

وفي يوم محاكمتها يومها اجتمع الحشد يبكون واستعان بي قاضيهم لأشهد عليها.

قلت له: "كيف أشهد؟"، "كيف أشهد وليتني كنت هي؟"، "منذ متى وهي تسكن قلبي؟"، ولا حياة لي وأنا ألمس بسحرها كل طاقة العالم المهدرة، فليعدمني القدر إذا ما حكم على ماضٍ تفاعلت معه كل هذا التفاعل بالعاطفة.